التناص القرآني في ديوان (الراقدون في الصور) للشاعر أكرم الزعبي

Quranic intertextuality in the Diwan (Raqdin in the Pictures) of the poet Akram Al -Zoubi

Eman Muhammad Rabie

Associate Professor, Department of Arabic Language
College of Arts/Jerash University

Email : emanrabei11@gmail.com

To cite this article:

1.Eman Muhammad Rabie , Jan – June Vol.6 Issue .1(2025) Urdu *Al-Bahis Journal of Islamic Sciences Research*, *6*(1) 28 -47 Retrieved from https://brjisr.com/index.php/brjisr/article/view/14

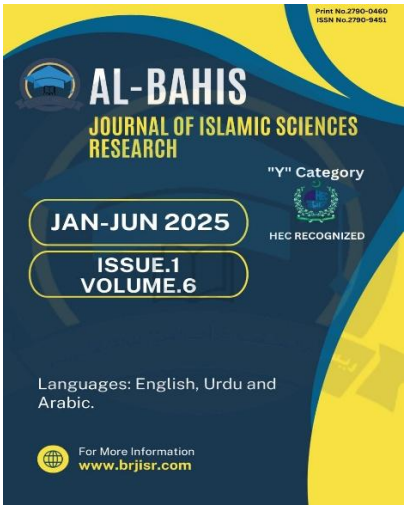

Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)

OPEN ACCESS

التناص القرآني في ديوان (الراقدون في الصور) للشاعر أكرم الزعبي

Quranic intertextuality in the Diwan (Raqdin in the Pictures) of the poet Akram Al -Zoubi

Abstract

This research has detected the Quranic intertextuality in the Diwan (Raqlin in the Pictures) of the poet Akram Al -Zoubi; To explain the impact of the Qur'anic text, its words, and its stories in enriching the poetic text and to highlight the relationship of influence and influence between the texts and to stand on the extent of Al -Zoubi evoking the absent texts and its ability to employ them in addition to the phenomenon of intertextuality related to the culture of writing itself as it performs disputed functions that activate the reception and enriches reading. The research consists of: the introduction, the definition of the poet, the definition of the Diwan, the Quranic intertextuality in the poetry of Al -Zoubi, the dictionary of Quranic words, followed by a conclusion followed by the list of sources and references. The research relied on the descriptive analytical approach and this research resulted in the importance of intertextuality and its effective role in building the poetic text and explaining Al -Zoubi's ability to use his intertextuality in his poetry, which opens a door to multiple interpretations.

Keywords: Intertextuality, the Noble Qur'an, poetry, Jordanian poetry, Diwan al -Raqlin in the pictures, Akram Al –Zoubi

كلمات مفتاحية: التناص، القرآن الكريم، الشعر، الشعر الأردني، ديوان الراقدون في الصور، أكرم الزعبي.

المقدمة:

يعد التناص من المصطلحات النقدية الجديدة، وقد تناوله كثير من النقاد الغربيين والعرب بالدرس والتحليل، وأولوه عناية خاصة، والتناص في النقد العربي يأتي من ترجمة اللفظة الفرنسية ''intertext'' حيث تعني كلمة ''inter'' التبادل، بينما ''text''كلمة النّص، وبذلك يصبح معنى ''intertext'' التبادل النّصي، وقد تمت ترجمتها إلى العربيّة بالتّناص أو التعالق النّصي. وتعدّ جوليا كرستيفا أوّل من أسس لمفهوم التناص عام 1966م، وقد استفادت من مصطلح الحوارية عند الناقد الروسي باختين، وهي تشير إلى مفهوم التناص وعلاقاته بقولها:" أمّا بالنسبة للنّصوص الشّعرية الحداثيّة فإنّنا نستطيع القول بدون مبالغة بأنّه قانون

جوهري، إذ هي نصوص تتمّ صناعتها عبر الامتصاص، وفي الوقت نفسه عبر هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصيّا"[1]. واهتم بمصطلح التناص عدد كبير من العلماء والنقاد الأوروبيين كأمثال: تودوروف، رولان بارت، ليون سومفيل، جيرار جنيت وغيرهم[2] ، والتناص ظاهرة موجودة في معظم النصوص الشعرية، فقيمة الخطاب الأدبي هو الذي يعتمد تشكيله على الاستحضار المباشر أو غير المباشر للنصوص السابقة، وهو بالأساس ظاهرة لغوية، عمادها وجود علاقة بين نص وآخر، ولقد ورد الكثير من المصطلحات في تراثنا النقدي له علاقة ما بمصطلح التناص كالتضمين والسرقة والنقائض(المخالفة) والمعارضات (المحاكاة الشعرية) وغيرها، وجاء علماء اللغة في العصر الحديث بهذا المصطلح الذي يدل على المفاعلة، وهو بهذا مصطلح حديث لظاهرة قديمة قدم الشّعر.

التناص لغة: " النصّ: رفعك الشيء. نصّ الحديث ينصّه نصّا: رفعه[3]. وهو" صيغة الكلام الأصليّة التي وردت من المؤلف، وما لا يحتمل إلّا معنى واحدا أو لا يحتمل التأويل، والنّصّ من الشيء منتهاه ومبلغ أقصاه، ويقال بلغ الشيء نصّه، وبلغنا من الأمر شدته"[4].

التناص اصطلاحا: التناص مصطلح نقدي حديث وافد من الغرب، يعرّف على أنه "إشكالية الكتابة بكتابات أخرى، أي التعويل على غيره في الكتابة، ولكن بقليل من التوسع والإضافة، فما من كتابة مبتكرة خالصة مائة بالمائة دون أن تكون متأثرة بغيرها، بل هو امتزاج بين الأنا والآخر السابق عليه ليكون في الأخير نصا إلى جانب النصوص الإبداعية الأخرى"[5]، ويعرفه رولان بارت بأنه :"

[1] – جوليا كرستيفا، علم النص، ترجمة: فؤاد الزاهي، المغرب، دار توبقال، 1991م، ص79

Julia Kristeva, Textual Science, translated by Farid Al-Zahi, Morocco, Dar Toubkal, 1991, p. 79

[2] – انظر: جيرار جنيت، آفاق التناص، المفهوم والمنظور، ترجمة: محمد خير البقاعي، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص132-139

See: Gerard Genette, Horizons of Intertextuality: Concept and Perspective, translated by: Muhammad Khair Al-Baqaei, 1st ed., Cairo, Egyptian General Book Authority, 1998, pg 132-139

[3] – اب منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، د.ت،م، مادة (نصص) ، ص96

Ibb Manzoor, Lisan al-Arab, Beirut, Dar Sader, D.T., Article (Texts), p. 96 AD

[4] – إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدوليّة، ط5، 2011م، ص964

Ibrahim Anis and others, Al-Mu'jam Al-Wasit, Al-Shorouk International Library, 5th ed. 2011, p 964

[5] – جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد زاهي، ط2، دار تويفال، المغرب، 1997م، ص 70

.Julia Christifa, Ilm al-Nas, translated by Farid Zahi, Vol. 2, Dar Tuifal, Maghreb, 1997, p 70

كل نص هو تناص، والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة، وبأشكال ليست عصية على الفهم بطريقة أو بأخرى؛ إذ نتعرف نصوص الثقافة السالفة والحالية: فكل نص ليس نسيجا جديدا من استشهادات سابقة"[6].

من هنا ندرك أهمية التناص ودوره في تحقيق رؤية الشاعر وأفكاره ومواقفه، والتعبير عن مشاعره وعواطفه، من خلال تداخل النصوص مع بعضها البعض، بالإضافة للناحية الجمالية وقدرة التأثير على المتلقي.

من اللافت في شعر أكرم الزعبي أن لمظاهر التناص الديني بعدا دلاليا واضحا يتلخص في وجود النص الديني المتمثل بالنص القرآني خاصة، وهذا التمثل الإيجابي الواعي للنص الديني في معظم شعر الزعبي، ابتداء من الألفاظ الدينية والقرآنية خاصة، وهو أمر يجعل لغة الزعبي قريبة من نفس المتلقي ويرتقي بها؛ في ألفاظها ومعانيها وتراكيبها وتنويعاتها إلى مستوى الخطاب المباشر.

ونجد أن الزعبي يتناص من القرآن أحيانا بعض قصصه، وأحيانا بعض ألفاظه وتراكيبه، وقد يظهر هذا التناص بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر كاشفا أبعادا دلالية متعددة.

والشاعر أكرم أحمد شريف الزعبي [7] هو شاعر أردني معاصر، ولد في محافظة الزرقاء عام 1974م، وتعود أصوله إلى قرية (خرجا) الواقعة شمال العاصمة الأردنية في (محافظة إربد). حاصل على درجة البكالوريوس في القانون من جامعة اليرموك عام 1997م، وكذلك حصل على درجة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي من الجامعة نفسها عام 2012م، حائز على العديد من الدورات والاجازات، رئيس رابطة الكتّاب الأردنيين من 2020م- الآن، عضو اللجنة العليا لمهرجان جرش للثقافة والفنون 2020م-الآن، وعضو في الكثير من اللجان القانونية والجمعيات والنوادي، حاز على درع نقابة المحامين الأردنيين 2014م ودرع جامعة اليرموك للتفوق الثقافي والإعلامي عام 1996م، ويحمل لقب (شاعر نقابة المحامين)، ويحمل أيضا لقب (قاص الجامعات الأردنية) لعامي 1995 و 1996م، شارك في أمسيات شعرية في مهرجان جرش ومهرجان الشعر العربي ومهرجانات محلية وعربية وله العديد من القصص والأشعار والمقالات المنشورة في الصحف والمجلّات الثقافية العربية والأردنية، صدر له ديوانان شعريان:1- ديوان (تركت ذاكرتي أمامي) عام2012م. 2- ديوان (الراقدون في الصور) عام 2017م.

[6] – رولان بارت، آفاق التناصية: دراسات مترجمة، ترجمة: محمد البقاعي، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1998م، ص42
Roland Barthes, Afaq al-Nasiyah: Translated Studies, Translation: Muhammad al-Baqa'i, Cairo, Al-Masriy Al-Katab, 1998, p. 42

[7] – أكرم الزعبي، ديوان الراقدون في الصور، وزارة الثقافة، عمان، 2017م، ص139
Akram al-Zaubi, Diwan al-Raqdoun fi al-Sawr, Ministry of Culture, Oman, 2017, p 139

يعدّ ديوان (الراقدون في الصور) الديوان الثاني للشاعر أكرم الزعبي، صدر عن المفرق مدينة الثقافةالأردنية، الناشر: وزارة الثقافة عمان- الأردن عام2017م، جاء في 142صفحة من القطع المتوسط، يضم الديوان ثلاثا وأربعين قصيدة، تنوعت أغراضه بين الأنا والأخر، وقضايا المجتمع بين الواقع والحلم، جاء العنوان (الراقدون في الصور) خاصا بالديوان دون أن يكون عنوانا لقصيدة ضمن الديوان.

قصائد الديوان جاءت على الترتيب الآتي:(هل دعاني أحد، جدّي، قصيدة يتيمة، الباب العالي، الماء، أيار، أحبكِ، حوار، القهوة، من اعترفات ديك الجن، مقام الغياب، الفلسطيني، إلى ولدي (أحمد) إعراب، صلاة، الشتاء، مولاي، شمعة، دعوة، القصيدة، رسالة، الكينونة، قبلة واحدة، الشمّاعة، نشرة الأخبار، أسئلة غير مشروعة، عرب، صرصار، عد، لعبة، الأصدقاء، خصومة، ذاكرة الشارع، ذاكرة العطر، مساؤها، ضجيج الصمت، رسم، بوح، اكتشاف، عمان، قبلة، القروي، المرأة، شموع).

التناص القرآني في شعر أكرم الزعبي

إن التناص الديني من أهم المقومات التي عمد إليها الزعبي قي بناء نصه الشعري، في سبيل الارتقاء بشعره فنيا، ولتوصيل ما يصبو إليه للمتلقي. ويعد القرآن الكريم رافدا مهما للشعر يضيف له بعدا جماليا وفنيّا. ويأتي التناص مع القرآن الكريم في هذا الديوان، على أشكال متعددة، إلا أننا سنركّز في هذا البحث على دراسة وتحليل التناص مع قصص قرآنية، أو مع ألفاظ قرآنية (مفردة، مركبة)، وذلك بسبب حجم البحث.

التناص مع قصص القرآن الكريم

يتجلى التّناص مع قصة سيدنا (يوسف) في قصيدة (جدّي)، يقول الزعبي[8]:

- إلى أين تذهبُ... ؟
- للحقل يا امرأةً فاطمئني.
هنالك يدعو السنابل
تأتي سراعا
وتجلس بين يديه طَواعا،
فيقرأ من سورة الناس شيئا
ويعرج للذئب في جبِّ يوسف
يأتيه ذئب ويقسِم:
لم يشرب الذئب من دم يوسف
لكن إخوته كالذئاب،
ويقرأ جدّي

[8] - الديوان، ص 9-10

Al-Diwan, p 9-10

من النمل شيئا

من النحل شيئا

ويسجد

يمسح جبهته بالتراب،

يعتمد الزعبي في نصه الشعري على النص القرآني فيستعير قصة سيدنا يوسف للإفصاح عن رؤيته، من خلال قوله تعالى:" قالوا يا آبانا إنّا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنّا صادقين"[9]، فالزعبي هنا يستلهم من الآية المذكورة، ليؤكد رؤيته وثباته على موقفه ومبادئه، وحب الخير للجميع حتى لو أساؤوا له، متفهما للحياة بكل جوانبها المختلفة. وهناك الكثير من الدوال التناصيّة في المقطع السابق، وهي على النحو الآتي:

- السنابل : ويقابلها قوله تعالى:" قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلاّ قليلا مما تأكلون"[10].
- سورة الناس: وتقابلها اسم سورة في القرآن (سورة النّاس)[11] .
- ويقرأ جدّي من النّمل شيئا: إشارة إلى (سورة النمل)[12] في القرآن الكريم .
- من النحل شيئا: إشارة إلى (سورة النحل)[13] في القرآن الكريم.
- يسجد: يقابلها قوله تعالى:" ولله يسجد من في السموات والأرض"[14]. وقد تمّ التناص في الدوال السابقة لتحمل طاقات إيجابيّة تكشف رؤية الشاعر للأمور والمواقف، ولتثير المتلقي وتجعله أكثر تفاعلا مع النص. " فالناتج النصي يكون حصيلة لسلسة من التحولات النصية السابقة التي تنصهر وتتمازج فيما بينها التي يظن المبدع أنه صاحبها لكنها تتسلل لإليه بطرق لا شعورية فهي عملية كيميائية تتم في ذهن المؤلف"[15].

---

[9] – القرآن 12 :17

Al-Quran 12 : 17

[10] – القرآن 12 : 47

Al-Quran 12 : 47

[11] – سورة الناس، ترتيبها 114 وهي الآخيرة في سور المصحف في الجزء الثلاثين

Surah Al-Nas, 114 in order, which is the last in Surah Al-Musaf in the 30th part

[12] – سورة النمل، سورة مكيّة ترتيبها في المصحف 27، في الجزء التاسع عشر

Surah Al-Namal, Surah Makkah are arranged in Al-Musaf 27, in the 19th chapter

[13] – سورةالنحل، سورة مكيّة، ترتيبها في المصحف 16 في الجزء الرابع عشر

Surah Al-Nahl, Surah Makkah, arranged in Al-Musaf 16 in the fourteenth part

[14] – القرآن 16 :49

Al-Quran 16 : 49

[15] – أحمد يوسف، القراءة النسقية ومقولاتها النقدية، تونس، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002م، ص125

ومن توظيف التناص القرآني، قصة تفسير سيدنا يوسف عليه السلام لحلم ملك مصر، يقول الزعبي في قصيدة (قصيدة يتيمة)[16]:

يا أبي يا سرّ جدي حين طوقه التراب
أضيء نهارك في عيوني بالحكايا
جائعا آتيتني خبزا يتيما
قلت: لا تأكل سنينك، واقتصد في حنطة العمر،
السنابل فارغة،
قلت: واقرأ
سورة الريح على جرح الزمن،
صار للحزن وطن.

يستخدم الزعبي القص القرآني ليصوغه في شعره لتوصيل رسالة للمتلقي تتناسب مع الموقف الراهن، من خلال الاتكاء على النص القرآني من خلال قوله تعالى:" يوسف أيّها الصّدّيق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهنّ سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لّعلّي أرجع إلى النّاس لعلّهم يعلمون، قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتّم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون"[17]، نجد هنا انسجام النص الشعري مع النص الديني الذي منحه دلالات جديدة؛ فالزعبي يدعو إلى التّمسك بالأمل واتخاذ التدابير الجيدة لحل المشكلات، فلا يأس مع الحياة .

وهناك تناص آخر في المقطع السابق، في جملة (سورة الريح على جرح الزمن)، إشارة إلى (سورة الذاريات) التي تؤكد على وعد المؤمنين الذين يدامون على ذكر الله ولا يغفلون عنه، بنعيم الخلد. والتناص هنا تناصا يشير لإسم السورة، لكنه يريد ما هدفت إليه هذه السورة من معاني، لإجمال المعنى واختصاره، مما يدعو المتلقي للبحث عن هذه السورة وتدبرها ليعرف العلاقة بينها وبين المعنى الذي أراده الزعبي في نصه.

ومن توظيف التناص القرآني عند الزعبي، قصة نزول سيدنا آدم عليه السلام من الجنة، يقول الزعبي[18]:

Ahmad Youssef, Al-Qur'a-e-ul-Nasqiyah and Critical Readings, Tunis, Dar al-Gharb for Publishing and Distribution, 2002, p 125

[16] – الديوان، ص14

Al-Diwan, p 14

[17] – القرآن 12 : 46، 47

Al-Quran 12 : 46 , 47

[18] - الديوان، ص19

يا أبي أو أبانا
تخلّيت عن جنة عالية،
وصرت هنا تحلم الآن فيها
بماذا تَّراك حلمت ؟؟
بأكثر منها؟
بطفل ملاك؟
بماذا ستحلم إن عدت يوما هناك؟!.

إنّ الشاعر يستوحي من قوله تعالى في سورة (الأعراف) " يا بني آدم لا يفتنّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنّة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنّه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون"[19]، إن الزعبي من خلال توظيفه لقصة سيدنا آدم ونزوله من الجنة بسبب غواية الشيطان له، أراد توصيل فكرة أن الحياة على الأرض ما هي إلا حياة عبور، والحياة الخالدة ما هي إلا هناك في السماء.

وجاء التناص في قوله[20]:

في الكينونة نار حيث أكون
في النار امرأة تحمل حطب العمر على كتفيها

يستلهم الزعبي من سورة (المسد) في قوله تعالى:" وامرأته حمالة الحطب"[21]، قصة حمالة الحطب، وهي (أم جميل) امرأة أبي لهب عم رسول الله، الذي وعدها الله بالنار، لأنها آذت الرسول عليه السلام، ووضعت الشوك في الليل في طريقه ليعقر قدميه، وهذا حال الإنسان التائه عن الحقيقة؛ فجاء هذا الاستلهام للأيات الكريمة لتحمل طاقة إيجابية وتكشف عن رؤية الزعبي، مما يثير المتلقي ويجعله أكثر تفاعلا مع النص؛ فالتناص يعتمد على " ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح"[22].

Al-Diwan, p 19

[19] – القرآن 7 : 27

Al-Quran 7 : 27

[20] – الديوان، ص86

Al-Diwan, p 86

[21] –القرآن 111: 4

Al-Quran 111:4

[22] – محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري–استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–بيروت، ط4، 2005م ص131

Muhammad Miftah, Analysis of Poetic Discourse - Intertextuality Strategy, Arab Cultural Center, Casablanca-Beirut, 4th ed., 2005, p 131

ومن صور التّناص مع القصة القرآنية قوله[23]:

الآن أعرج
بعد إسرائي إليها
حاملا
في كفّ اليمنى بريق الشمس
في اليسرى قمر،

يظهر التّناص في المقطع السابق مع قوله تعالى" سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى"[24]، فالزعبي يستلهم قوله تعالى من الآيات المذكورة؛ ليؤكد على قدرته بتقديم الأفضل للناس، كما جاء في قصة الاسراء والمعراج التي تعلّمنا الثبات على المبدأ شرف كبير، فقد سار على درب النبيين والصالحين، "فالنص المستقبل ممكن أن يحور ويبدل ويغير في النص الوافد وذلك وفق ما تقتضيه رؤية المبدع"[25].

التناص بالألفاظ والتراكيب القرآنية:

ويتجلى التناص بالألفاظ في قصيدة (الباب العالي)، يقول الزعبي[26]:

يا رجلا،
يحمل مفتاح الجنّة كلّ صباح
لحبيبته
ويعود مساء لجهنّمه

[23] – الديوان، ص116

Al-Diwan, p 116

[24] – القرآن 17 : 1

Al-Quran 17 : 1

[25] – موسى الربابعة، التّناص في نماذج من الشعر العربي الحديث، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعيّة والنشر والتوزيع، الأردن–إربد، ط1، 2000م، ص7

Musa Al-Rababa'a, Intertextuality in Models of Modern Arabic Poetry, Hamada Foundation for University Studies, Publishing and Distribution, Jordan-Irbid, 1st ed., 2000, p 7

[26] – الديوان، ص22

Al-Diwan, p 22

نلاحظ أن التناص تجلّى في المقطع السابق في لفظة (الجنّة) مع قوله تعالى:" أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون "[27]، وكذلك هناك تناص في لفظة (جهنّم) مع قوله تعالى " إنّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنّم جميعا "[28]، أضفى هذا التناص القرآني في المقطع الشعري السابق مزيدا من الدلالات العميقة التي عملت على حيوية النص وفتح تأويلاته مع الماضي لإضافة استنارات نصية مع الحاضر والمستقبل ؛ فجاء التناص مؤكدا لأفكار الشاعر ورآه.

وظّف الزعبي التناص القرأني في الألفاظ، في قول الزعبي[29]:

يتجلّى كونك فيّ

وفي نورك أدرك معناي.

نجد التناص في لفظة (النّور) مع قوله تعالى " الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح"[30]، فالزعبي يصف المشاعر الروحانية التي يشعر بها تجاه الله؛ فهو قد نجح في توظيفه للتناص فـــ " الإنتاج الإبداعي يخضع للمشاركة والتكامل، والأديب مرتبط بالعالم من حوله وبالتاريخ والثقافة التي تتجلى في نصوصه بطرق متناوبة قد تكون مماثلة أو مخالفة أو تأخذ موقف الحياد، وفي كل الحالات فإنّ نصه يتعالق بالضرورة مع عالم النصوص"[31].

ويوظّف الشاعر التّناص في قوله[32]:

في جسدي سبع وصايا ونبيّ يكتب في لوح القلب (أحبكِ)

---

[27] – القرآن 7 : 42

Al-Quran 7 : 42

[28] – القرآن 4 : 140

Al-Quran 4 : 140

[29] – الديوان، ص74

Al-Diwan, p 74

[30] – القرآن 24 : 35

Al-Quran 24 : 35

[31] – انظر: السعيد عموري، التناص في شعر محمود درويش، مجلة الدراسات، ديسمبر 2-2016م، ص140-141

See: Al-Saeed Amouri, Intertextuality in the Poetry of Mahmoud Darwish, Studies Magazine, .December 2, 2016, p 140-141

[32] – الديوان، ص86

Al-Diwan, p 86

استوحى الزعبي لفظة (نبيّ) من قوله تعالى:"كان النّاس أمّة واحدة فبعث الله النّبيّين مبشرين ومنذرين "[33]، فالأنبياء يتصفون بمكارم الأخلاق، وهذا حال الشاعر الذي يتصف بالأخلاق النبويّة الكريمة، فالتّناص بهذه المفردة القرآنية عمّق من الدلالة الشعرية للكلمة باستحضارها الدلالة القرآنية إلى جانب الدلالة الشعرية، ممّا أدّى للفت انتباه المتلقي. وكذلك استوحى الزعبي لفظة (لوح) في المقطع السابق، من قوله تعالى" في لوح محفوظ"[34]، أيّ اللوح المدوّن فيه كل شيءمنذ خلق الحياة وحتى نهايتها بشكل غير قابل للتغيير، وكذلك قلب المحب، فاستخدام الزعبي لهذه المفردات استطاع أن يحقق تناصا مع مفردات من القرأن الكريم من حيث الشكل والوظيفة.

ويتجلّى التّناص في قصيدة (الصلاة) في قول الزعبي[35]:

توضّأ بحزنك
صلّ صلاة المسافر
قل: ركعتان وآتيك طيفا
ونورا يبسّم نحوك.

ففي المقطع السابق تناص لفظة (صلاة)، مع قوله تعالى " وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة"[36]، وكذلك هناك تناص مع لفظة (ركعتان) مع قوله تعالى :"وأقيموا الصلاة واركعوا مع الرّاكعين"[37]، وبهذا جاء التّناص مع الآية دالّا واضحا لأفكار الشاعر، التي يؤكد من خلالها على ضرورة تمسّك الإنسان بدينه وصلاته ليصل إلى غايته، والتناص أساسه التفاعل والتشارك بين النصوص، والزعبي عارفا بالنصوص السابقة، "لأن النص يعتمد على تحويل النصوص السابقة وتمثيلها بنص موحد يجمع بين الحاضر والغائب وينسج بطريقة تتناسب وكل قارئ مبدع"[38] .

---

[33] – القرآن 2 : 213

Al-Quran 2 : 213

[34] – القرآن 85 : 22

Al-Quran 85 : 22

[35] – الديوان، ص68

Al-Diwan, p 68

[36] – القرآن 4 : 101

Al-Quran 4 : 101

[37] – القرآن 2 : 43

Al-Quran 2 : 43

[38] – مصطفى السعدني، التناص الشعري، قراءة أخرى لقضية السرقات، منشأة المعارف المعارف المصرية، مصر، 1991م، ص8

يتجلّى التناص القرآني في الألفاظ، في قول الزعبي[39]:

يا أحمد

ما ذنبك تحمل وزر الشهوات العابرة!!

نجد التناص في لفظة (الشهوات) مع قوله تعالى:" فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّا"[40]، فحبّ الشهوات مغروس في قلب الإنسان وقد يكون ذلك ابتلاء واختبارا، لذا الزعبي يرأف بإبنه وبأبناء قومه من هذه الشهوات التي قد تبعدهم عن الطريق الحق.

مما سبق نلاحظ أنّ الزعبي قد نجح في استخدامه الألفاظ القرآنية، وتوظيفها في شعره؛ لإضفاء لمسة من الجمال الفني عليه.

ونجد التناص بالتراكيب القرآنية، في قول الزعبي[41]:

واذكر
في كلّ صباح
لون عصافير الحبّ وغنّ
للفقراء وللسجناء
نشيد الحرية
واقرأ
"إنّا أعطيناك الكوثر"

في المقطع السابق يستخدم الزعبي النص القرآني في قوله تعالى: "إنّا أعطيناك الكوثر"[42]، ويضمنه في شعره، فالتناص جاء جملة كاملة كما هي في القرآن الكريم (تناص مباشر)؛ فالزعبي يدعو الناس إلى التمسك بشريعتهم وقيمهم ومبادئهم ودفاعهم عن الفقراء والسجناء والمظلومين في هذا العالم؛

Mustafa Al -Saadani, Poetic Intelligence, Another Reading of the Nailing issue, the Egyptian Knowledge Facility, Egypt, 1991, p. 8

[39] - الديوان، ص63

Al-Diwan, p 63

[40] - القرآن 19 : 59

Al-Quran 19 : 59

[41] - الديوان، ص22

Al-Diwan, p 22

[42] - القرآن 1 : 108

Al-Quran 108 : 1

حتى لو تعرضوا للأذى، فالله سيجزيهم خير الجزاء كما جازى سيدنا محمد عليه السلام بإعطائه نهر الكوثر؛ فالتناص يعتبر " نوعا من الامتصاص الشكلي والوظيفي على صعيد واحد"[43].

ويوظّف الزعبي التناص في قوله[44]:

دمي ليس ماء
تمرّون منه ابتغاء الثواب
فلا تقرأوا الصلوات
ولا تقربوني

فالتناص غير المباشر في التركيب (فلا تقرأوا الصلوات ولا تقربوني)، واضح مع قوله تعالى" يا أيّها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى"[45]؛ فالقصيدة تتحدّث هنا عن رسالة من شهيد فلسطيني يطالب أبناء أمّته بالدفاع عن فلسطين وتحريرها بالأفعال وليس بالكلام، لينالوا ثواب الله؛ فالغرض الذي أراده الزعبي هنا تقوية نصه الشعري بالتركيب القرآني ليرتقي به، ويعطيه مزيدا من القوة والجزالة والهيبة.

ومن أمثلة التّناص بالتراكيب القرآنية في قوله[46]:

والأصدقاء ... شموع الله لا خوف عليهم
إذ يضيئون التراب
ويعبرون إلى الكمنجات الأليفة
في المرايا المعتمة،

---

[43] – محمد عبد المطلب، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995م، ص177

Mohamed Abdel -Muttalib, stylistic readings in modern poetry, Egyptian General Book Authority, Egypt, 1995, p 177

[44] – الديوان، ص84

Al-Diwan, p 84

[45] – القرآن 4 : 43

Al-Quran 4 : 43

[46] – الديوان، ص106

Al-Diwan, p 106

ظهر التّناص في المقطع السابق بالتركيب (لا خوف عليهم) مع قوله تعالى" فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[47]، فالزعبي أراد من خلال هذا التوظيف تأكيد رؤاه وتوجهاته، فقد استطاع أن يرسم المشهد بكل وضوح، " ذلك أن المبدع أساسا لا يتم له النضج الحقيقي إلا باستيعاب الجهد السابق عليه في مجالات الإبداع المختلفة"[48].

ومن أمثلة ما ورد من التّناص بالتراكيب القرآنية قول الزعبي:[49]

هل دعاني إلى حفلة في الفراغ
وأغلق حولي النوافذ،
ثمّ دنا وتدلّى إليّ
بإسراره المهملات وقال:
أنت سيّد هذا البراح
فخذ يا صديق طريق الأبدْ!!

ضمّن الزعبي في البيت الثالث من المقطع السابق، التركيب القرآني:" ثمّ دنا فتدلّى"[50]؛ ليعبر بها عن قضية الأنا والآخر في المجتمع، ويرسم صورة من واقع مجتمعنا، فشكّل التّناص بؤرة شعورية في نفس المتلقي تعالق فيها النص الشعري مع النص القرآني لتعميق الترابط التناصي بينهما، متوافقا مع ما جاء بالآية القرآنية التي توضّح موقف المشركين من الرسول –عليه السلام– الذين اتهموه بأنه شاعر أو مجنون، فأنزل الله تعالى سورة النجم حتى يثبت لهم، أن القرآن الكريم من عند الله وأنه ينزله على نبيّه عن طريق الوحي.

ومن النماذج على التراكيب القرآنية (حلال أو حرام) التي جاءت في قول الزعبي[51]:

لا شأن لي إن كانت الدنيا حلالا أو حرام

---

[47] –القرآن 2: 38

Al-Quran 2 : 38

[48] – محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر، (اونجمان)، مصر، 1995م بتصرف ص141-142

Hamad Abdul Muttalib, Issues of Modernity in the Thought of Abdul Qaher Al-Jurjani, Egyptian International Publishing Company, (Ongeman), Egypt, 1995, Adapted p 141-142

[49] – الديوان ص4

Al-Diwan p 4

[50] – القرآن 53 : 8

Al-Quran 53 : 8

[51] – الديوان: ص36

Al-Diwan, p 36

جاء التركيب (حلالا أو حراما) في قول الزعبي ليتناص مع ما ورد في قوله تعالى:" قل أرأيتم ما نزّل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون"[52]، نلاحظ أن التّناص هنا جاء ليأخذ بالتركيب سياقا جديدا حاملا معه دلالات سلبية، فإذا كان الله قد نزّل لهم الرزق ليستفيدوا منه ولم يحرّم منه شيئا؛ لكنهم جعلوا منه حلالا وحراما، والشاعر بالمقابل يبيّن لنا فئة من الناس في المجتمع تتخلّى عن مهامها الإنسانية والدينية فلا شأن له بالحلال والحرام ولا بأي شيء آخر.

ويتجلى التناص بالتراكيب في عنوان القصيدة (مولاي) وفي متنها، فيقول أكرم الزعبي[53]:

مولاي!!
الجنّة في كفيّ
وفي قلبي
نيران هواي،
يتجلّى كونك فيّ
وفي نورك أدرك معناي.

نلاحظ تجلّى التناص في المقطع السابق في لفظة (مولاي) مع قوله تعالى:" واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النّصير"[54]، فالزعبي يتوجه ضارعا إلى مولاه (الله)، أن يلهمه الصواب والرشد ليدرك معنى وجوده؛ لذا جاء التناص مؤكدا لأفكار الشاعر ورآه.

كما نلاحظ من خلال الأمثلة السابقة، أن التناص القرآني في جميع صوره هو " مادة راسخة في الذاكرة الجمعية لعامة المسلمين بكل ما يحويه من قصص وعبر، ناهيك عن الاقتصاد اللفظي والغنى الأسلوبي اللذين يتميز بهما الخطاب القرآني"[55].

معجم الألفاظ القرآنية في ديوان (الرافدون في الصور)

---

[52] – القرآن 10: 59

Al-Quran 10 : 59

[53] – الديوان، ص74

Al-Diwan, p 74

[54] – القرآن 22 : 78

Al-Quran 22 :78

[55] حصة البادي، التناص في الشعر العربي الحديث: البرغوثي نموذجا، ط1، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2009م، ص41.

كان كتابة معجم الألفاظ القرآنية هذا معولي الأول في كتابة هذا البحث، فقد اتكأت على معطياته في تكوين أرائي وتجميع أحكامي وإعدادها لبناء البحث. وللمعجم دور مهم في الوقوف على أثر التناص القرآني في بناء النص الشعري للشاعر أكرم الزعبي وتشكيله، وفي التعبير عن اتجاهاته الفكرية وميوله النفسية،

لقد اعتمد المعجم في تكوينه على الألفاظ القرآنية الوارد في ديوان (الراقدون في الصور)، حصرا لتكون الدراسة منصبة على أنموذج بعينه من شعر الزعبي، وقريبة من العينة المنتقاة التي تكشف لنا طبيعة تعامل الزعبي مع توظيفه للتناص. والمعجم الشعري يقوم على " اختيار ألفاظ بعينها، يجمع بينها انتماؤها إلى حقل دلالي واحد، أو عدّة حقول فرعية، وترتيبها على وفق طرائق معينة، بحيث تثير معانيها خيالا جماليا"[56].

الرقم	الألفاظ	رقم الصفحة بالديوان
1	ثمّ دنا وتدلّى إلي	4
2	السنابل	9، 14، 94
3	طواعا	9
4	سورة الناس	9
5	الذئب	9،9،9، 44
7	جبّ يوسف	9
8	دم يوسف	9
9	إخوته ذئاب	9
10	النمل	9
11	النحل	9
12	يسجد	9
13	شيخ	10،23، 49
14	المعراج	14، 116
15	لا تأكل سنينك واقتصد في حنطة العمر	14

[56] – محمود فهمي طاهر عامر، حيدر محمود حياته وشعره، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، 1987م، ص149.،

16	سورة الريح	14
17	يصلّون	15، 67، 68، 84، 88، 68
18	الخلق	18، 28، 28، 44
19	القيامة	18،
20	يا أبي يا آبانا	18، 18، 18، 19، 19
21	الله	18، 26، 28، 31، 47، 57، 84، 86، 106
22	الجنّة	18، 19،22، 28،28
23	شهيدا	22، 84
24	جهنّم	22، 23
25	صلبوا	23، 23، 52، 78
26	صدّيقا	23، 24
27	بأسمائي الحسنى	24
28	يقرأ آيات الفجر	28، 47
29	الإنسان	34،34
30	حلال أو حراما	36
31	ضلّ	36
32	اهتدى	36
33	السلام	36، 38

34	النجاة	38
35	تطوف	38، 47 ،47،47
36	خطاياي	38، 94
37	إله	38، 56
38	ديني	41
39	يؤت بذنبي	41
40	عبدت	41
41	الموت	41، 63، 64، 86، 95، 96، 120، 138
42	شيطان	44، 137
43	النّار	44، 48، 86، 86، 86، 86، 86، 86
44	لم يمسسها	46
45	الجنّ	45، 46، 46، 46، 49
46	أرتّل	47
47	ذنوبي	43، 49، 63، 63، 63، 63، 63، 74
48	غويت	52، 52 124
49	المقدّس	52
50	الوضوء	68،17
51	ركعتان	68
52	مولاي	74، 74، 74، 75

53	لا تقربوني	84
54	امرأة تحمل حطب العمر	86
55	سبع وصايا ونبي	86
56	لا خوف عليهم	106
57	الإسراء	116
58	أراود	8، 23، 33
59	خبزا	14
60	بأسمائنا المرسلة	15
61	يا صاحبي	15، 15، 16
62	العباد	15، 33
63	الخلق	18
64	القيامة	18
65	بتر	22
66	تزلزل	26، 30، 60
67	الفجر	28
68	الآمر الناهي	30، 100
69	المحراب	47، 52
70	قبر	52، 63
71	سوءتها	61
72	يوم الدين	61
73	الشهوات	63
74	اللات	64
75	الملكوت	134

76	تراتيل	136
77	قاب قوس	136
المجموع		164

من خلال الجدول السابق يمكننا القول:

– نجد أنّ عدد الألفاظ القرآنية الواردة في الديوان قد بلغ نحو (164) كلمة وهو عدد كبير، إذا أخذنا في الإعتبار اعتماد إعداد المعجم على ديوان (الراقدون في الصور) فقط، وعدد قصائد الديوان لا تتجاوز(43) قصيدة، وعدد صفحات الديوان (142).

– ونلاحظ أن كل لفظة قرآنية قد تأتي موصوفة أو مضافة أو مضاف إليها أو مبنية في تشكيل شعري، أو جملة شعرية، أو صورة شعرية، أمكننا تصوّر سعة المساحة التي يمتد فيها التناص القرآني في شعر أكرم الزعبي، وحجم تأثيره في معانيه ودلالاته.

– بلغ عدد التناص القرآني بالألفاظ حوالي (88) مرّة، وبلغ عدد التناص القرآني مع التراكيب حوالي (48) مرّة، أما عدد التناص القرآني مع القصة فبلغ حوالي (28) مرّة.

– من خلال هذا المعجم يمكننا تصوّر مدى اعتماد الزعبي على التّناص في بناء نصّه الشعري، ورسم صوره؛ مما يضفي على التعبير الشعري جمالا وعمق دلالة.

الخاتمة:

توصل البحث إلى النتائج الآتية :

– أظهر البحث قدرة الشاعر أكرم الزعبي على توظيف التناص القرآني في شعره بلغة رصينة وبأسلوب جميل يكشف رؤاه وأفكاره، مما يدلّ عل تنوّع ثقافته وسعة اطّلاعه.

– جاء التناص القرآني متنوعا وثريّا؛ بحيث يجد الشاعر كل ما يحتاجه للتعبير عما يريده من افكار ورؤى، فكان هناك التناص مع القصة القرآنية، وكذلك التناص مع الألفاظ (المفردة والمركبة).

– جاء التناص القرآني بالألفاظ بالمرتبة الأولى، يليه التناص القرآني بالتراكيب بالمرتبة الثانية، أما التناص بالقصة القرآنية فجاء بالمرتبة الآخيرة.

– إنّ الزعبي في اختياراته التّناصية كان في المجمل واضحا مبتعدا فيه عن الغموض، ليوصل رسالته للمتلقي بأسلوبه السهل الممتنع.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)